

الغيمة المستكشفة

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني: E-mail : unecriv@net.sy

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu-dam.org>

تصميم الغلاف للفنانة : منى حمدان



خليل البيطار

الغيمة
المستكشفة

* قصص للأطفال *

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

دمشق - ٢٠٠١

الإهداء

إلى عروة ومحمد ونور

مقدمة

خليل البيطار كاتب جاد كثير التروي... لا يبدو عليه الاستعجال في شيء... تحدثه فيصغي بانتباه، ويتحدث فيمضي إلى الجوهر مباشرة... وقد خيل لي أنه لا يحب المقدمات بل يخيل لي أيضاً أنه لم يتعلم السباحة على شاطئ بحر الكتابة بل في الأماكن العميقة من ذلك البحر..

لا أدري إن كان الأستاذ خليل قد مارس التعليم... لكن ما لا أشك فيه هو أنه "معلم" في

كتابة القصة القصيرة... تبدو براعته حين يكتبها للكبار وتبدو أنصع حين يكتبها للأطفال... ويخيل لي أنه يدرك أن الكتابة للأطفال أصعب وأخطر من الكتابة للكبار فييدي نحوها المزيد من العناية، ويظهر فيها المزيد من البراعة، مع كبير عنايته في كتاباته الأخرى.

وهو معلم يؤمن بقدرة الكلمة على الفعل وبتأثيرها الكبير على تكوين الشخصية فنراه ينتقيها ويمحصها قبل أن يسلكها مع أخواتها في عقد العبارة... ومن سبك العبارات الدقيق ينبثق الجمال الرصين وتبزغ الحكمة... والحكمة هنا جادة تكاد تكون صارمة لكنها لا تقترب من حدود التزمت... إنها ابنة الحياة كما إنها ابنة طبع الكاتب... فهي لا تعرف العبوس والتجهم ولا تعرف الابتسام والضحك... وهي متزنة ومتوازنة تتوجه إلى القلب بقدر ما تتوجه إلى العقل...

وإذا كانت قصصه مفعمة بالحكمة فهي لا
تضحي بجمالها ورونقه من أجل الحكمة... إنها
عصافير جميلة متناغمة الألوان لكل جناح من
جناحيها القدرة التي لأخيه على الطيران.
والعصافير قد تصير مكتنزة الأجسام لكنها لا
تترهل أبداً...

وهي أضمومة من غراس الورد تُزرع في
بستان أدب الأطفال الذي يزداد جمالاً عاماً بعد
عام.

ميخائيل عيد



الغيمة المستكشفة

اختلف الناس جميعاً في إمكانية وجود صديق
وفي، وكانت حكاياتهم لا تنتهي حول أهمية
الصدقة وندرة الأصدقاء، لكن الغيمة ظلت تثق
بالصدقة، وتحب أصدقاءها الكثيرين: الأطفال
والأشجار والتلال والبحر والأمواج ورمال
الشاطئ وأزهار الحدائق، فقد أتقنت لغاتهم،
وعرفت أمزجتهم، وصممت لكل منهم طريقة

للتخاطب، كيلا تؤذي مشاعرهم، وكانت الأشجار والطيور والأزهار تحب الغيمة مثلما يحبها الأطفال أو أكثر قليلاً، فحين تُقبل تُستقبل بمظاهر البهجة، وحين تمضي تُودّع بمشاعر الامتتان.

لكن الزمن لا يترك أي شيء وشأنه، فهو ما يفتأ يغير ويبدل، ويهز ويزعزع، ويفرق ويشتت، تسعفه في مهمته الرياح العاتية والعواصف الشديدة، والزلازل المدمرة، وسواها من العاديات، لكن الغيمة ظلت عصية على التغير، وفيه لأصدقائها، دقيقة في مواعيدها وطقوسها ومعابثاتها، فهي تبدأ بمعانقة التلال، ثم تبلغ الأشجار آخر طرفة حول الأشجار الهرمة والشجيرات الصغيرة، أو حول الطيور المشاكسة والزرافات المدعية وفئران التجارب، وتتابع مصافحة الورود، ومراقبة الطيور، ومعابثة الأطفال، وتلوم أولئك الذين نسوا إنجاز واجباتهم

البيئية، وتحثهم على الاجتهاد.

أحست الغيمة ذات يوم بالرتابة، ولاحظت أن حياتها تسير على نمط واحد، فهي تستيقظ باكراً، وتغادر سريرها البحري الوثير، ثم تتمشى قليلاً قبل أن تبدأ عملها، فتسقي البساتين والحقول، وتلتفت لمحادثة الفلاحين والسؤال عن أحوالهم، ثم تلقي التحية على الورود والأشجار، وتلعب وتدور مع الأطفال والطيور، قبل أن تعود أدراجها إلى البحر، وقد أخذ منها الجهد كل مأخذ، وتقطعت أوصالها، وتلاحقت أنفاسها، فتلقي متاعبها على الشاطئ، ثم تتابع تحليقات النوارس، وتصغي إلى حكايات البحر حتى تنام.

لم تشكُ الغيمة يوماً من أحد، بل كانت تصغي وتتعلم، وتفتح صدرها لشكوى الآخرين، وتقابل عتابهم ودعاباتهم بتفهم حكيم، وصبر بحار، ويقظة راع، وقلب محب، ولم تتخلف يوماً عن نشر

هداياها بمناسبة أو دونها، واستطاعت أن تحوز على ثقة الجميع بمن فيهم الأطفال الذين يصعب إرضائهم، بعكس الكائنات كلها كما هو معروف. سمعت الغيمة الأطفال يوماً يتحدثون بطريقة مختلفة، ويعرضون خططهم وطموحاتهم، وعرفت أن بعضهم يتمنى أن يقوم بجولة حول العالم، ويخطط لتنفيذ هذا الحلم منذ اليوم، وأدهشتها الفكرة فلم تتم ليلتها، وغرقت في سهوم صامت غامض يشبه سهوم الشعراء والعشاق، ولاحظ الأطفال صمتها، وقلقوا، وتشاوروا في حالها، وبحثوا عن إجابات صحيحة، لكن المسألة هنا كانت أعقد من مسائل الرياضيات، أو تدريبات النحو، أو موضوعات التعبير.

لم يهتد الأطفال إلى معرفة سر صديقتهم المخبأ، وانتظروا أن تصارحهم بما تخفيه - على غير عاداتها - لكن صمت الغيمة وقلقها طال

وأقلقهم، وفي اليوم الثالث من الأسبوع الثالث من ربيع الأول، فاجأت الغيمة الحقول والتلال والعصافير والأشجار والورود والأطفال بقرارها الخطير، وأبلغتهم أنها تنوي القيام برحلة حول العالم.

فوجئ الجميع بالنبأ، وحاولوا نثي الغيمة عن عزمها، ورجوها أن تعيد النظر في قرارها المتسرع، لأن التسرع يورث الهلاك، لكنها أجابتهم باعتداد وحسم، لم يتوقعوا سماعه منها، وقالت: من حقي الذهاب إلى أي مكان أريده.

قدّر الأطفال أن الغيمة تمر بظرف صعب، وودوا مساعدتها، كي تظل صديقة مؤنسة وجارة وفيّة، لكنهم شعروا بالخيبة أمام إصرارها على الرحيل، ونكسوا رؤوسهم حزناً، وخيم عليهم صمت أغبر، لم يخفف من ثقله اعتذارات الغيمة للحقول بأنها لن تستطيع إرواءها بانتظام، وللتلال

بأنها لن تستطيع غسلها كما عودتها، وللأشجار
والورود لأنها لن تستطيع حمايتها من حر الشمس،
وللعصافير لأنها لن تستطيع معابنتها، ولم يعد
لديها بعد اليوم وقت تضيعه في الرقص والدوران،
أما الأطفال فقد قالت لهم: إن عليكم أن تعتمدوا
على أنفسكم، لأنني لن أستطيع إفادتكم بأي شيء
خلال غيابي الطويل.

أعدت الغيمة للرحلة عدتها، وأطلقت خيول
عربتها المجنحة، وألقت نظرة على البحر
واليابسة، وهمست للتلال بأحد أسرارها، ثم عبت
ملء رئتيها من هوائها النقي، ومضت مبتعدة دون
أن تثير ذرة من غبار، وانتابتها مشاعر متناقضة،
امتزج فيها الحزن بالقلق والتشوق: الحزق لفراق
الأصدقاء وملاعب المرح، والقلق لخشيتها من
الإخفاق والعجز عن المتابعة، فتغدو هدفاً
لسخريات الجميع، والتشوق لرؤية مدن مضيئة،

وتسلق جبال عالية، واكتشاف ورود نادرة.

كانت الغيمة تسعى إلى تأكيد حقيقة لم يؤكد لها أحد قبلها هي أن الغيوم تستطيع أن تفعل أكثر من البكاء، وأن الوهم السائد عن الغيوم، بأنها لا تجيد شيئاً سوى ذرف الدموع والشكوى والتأود والسير المتناقل، لا صحة له، فللغيمات، دور في الاكتشاف والتنقية والمساعدة والمؤانسة وكشف الزيف.

كثيرون عطّلوا رحلة المستكشفة الصغيرة، وكثيرون سخروا من أحلامها، وأسمعوها عبارات جارحة، وضحكوا من سذاجتها وجهلها مخاطر رحلات الاستكشاف، وراحوا يسجلون قوائم طويلة بما يحتاجه المكتشف، وكادت بعض السخريات أن تثني الغيمة عن عزمها، لكن الأكثر إزعاجاً للغيمة كثرة المراهنين على إخفاقها، وتسلسل خوف بارد إلى زوايا صدرها، وقد جعلها ذلك كله تعيد النظر

في خطتها أكثر من مرة.

الرياح الشديدة أخرجتها، ودفعتها بعيداً عن مسار الرحلة، فسألت العصافير: ماذا أفعل؟ قالت العصافير: اصمدي، الرياح تقترب من تغير اتجاهها، وسنساعدك على الصمود وفاء لما قدمته لنا من منافع.

وكلما واجهت الغيمة خطراً كانت تغوص في التساؤل: هل هذه هي الوجهة الصحيحة؟ هل تتحقق تقديرات الساخرين؟.. كيف أواجه عيون الأطفال إذا أخفقت؟ وهل يحتمل أحد حكايات الإخفاق والهزيمة؟ لكنها كانت تغذ السير، وتوقظ عزيمتها بأغنيات ترددها، أو بإصغاء مرهف إلى أغاريد البلابل والزرزير وتهليلات أسراب القطا، وكان همها أن تؤكد لكل الساخرين والمشككين أنها حفيذة الغيمات الطموحات اللواتي مضيئ في رحلات بعيدة، لاكتشاف جزر جميلة ونباتات

مفيدة، واكتشاف أعماق الغابات، وحمل رسائل
رقيقة إلى قاطنين محتملين في الأجرام البعيدة.
تمزق رداء الغيمة وشالها، وتجرحت قدمها،
وتاهت مرات كثيرة، لكنها تحملت آلامها بعناد هراً
محاصر، وبهمة سلحفاة مثابرة، وبشغف حمام
زاجل ينطلق صوب هدفه.

لمحت الغيمة المستكشفة من نافذة عربتها طفلاً
باكياً يجلس وحيداً فوق جسر على نهر دجلة من
جهة الرصافة، فاستوقفها المشهد، ولم تشأ أن تبدأ
رحلتها بلوحة حزينة، فسارعت إلى مواساة الطفل،
ومسحت دمه، وابتسمت له، لكنه لم يتعرف
عليها، فأهدته لعبة على شكل أرنب ناصع
البياض، بعينين عسليتين، وقربت رأس الأرنب
من كتف الطفل وهزته، فتحركت أذناه وداعبتا أذن
الطفل، فأحس بدغدغة لطيفة، وحث نفسه على
الابتسام، فهدأت مشاعر الغيمة ولوحت له بيدها،

ثم مضت محلقة فوق النهرين الكبيرين المنحدرين من سلسلة جبلية عالية، وتذكرت الغيمة أن العرب وصلوا إلى منابعهما، وكسبوا ودّ الغيوم والجبال والأنهار والناس، لكنهم اليوم مترنحون كسالى، مضطرون لشراء كل شيء بثمن باهظ حتى المياه! ودارت الغيمة متجهة صوب الأرض السمراء وأطفالها سود الأعين.

لم تجد الغيمة صعوبة في قطع المسافات الطويلة، لكنها وجدت صعوبات في عبور نقاط التفتيش على الحدود، وطالبها المفتشون بإبراز أوراقها الثبوتية، أو تعود أدراجها إلى الجهة التي قدمت منها، فحسدت الغيمة الغجر لأنهم كانوا يعبرون مع حاجياتهم ودوابهم دون تفتيش، وصعب عليها أن يجري تجاهلها، وهي السخية المشهورة، واستطاعت أن تجد وسيلة تقنع فيها مفتشي الحدود بأن لها غاية إنسانية، وأن الجوع

والعطش عدواها وعدوا الأطفال، وهي قادمة
للمساعدة، ورسمت هلالاً أحمر فوق علم عربتها
الفضية، وتمكنت من عبور حاجز التفقيش في
نهاية المطاف.

رأت الغيمة على جانبي الطرق المتعرجة التي
اضطرت لسلوكلها أطفالاً سمر الوجوه، أيديهم
قصبية، وأرجلهم مقوسة، وعيونهم جاحظة، توطن
فيها الرعب والألم والاحتجاج، فمسحت شعورهم
الجعدة، وقدمت لهم جرعات من الماء وعلباً من
الحليب، ولم تنتظر سماع عبارات الشكر، وتركت
عنوانها المؤقت لطالبي العون وهواة الرسائل
منهم، ومضت باستقامة فوق الصحراء الممتدة،
كان منظر الكثبان الرملية يشبه حزم حبال طويلة
مرصوفة، أو ثياباً عسكرية صيفية منشورة في
الشمس، وعجبت لامتزاج صفرة الرمال بحمرة
قانية لم تتبين إن كانت آتية من حمرة الغسق، أو

من نهر دم يتجه من أعالي الجبال صوب
الصحراء التلكلى.

مالت عربة الغيمة بعد عبور المحيط الداكن
صوب البلاد المضيئة، وعجبت لنظافة الشواطئ
وجمال الحدائق، وصفاء الوجوه التي لوحتها
الشمس بسمرة الزخارف المنمنة والأقواس البهية،
والشرفات التي لم تر مثلها من قبل، فاقتربت من
سطح القصر لتشهد المنظر، لكن الحراس أبعدها
قائلين: الزيارة ممنوعة هذا اليوم، عودي في الغد
ومعك النقود، عندها بكت الغيمة، وسالت دموعها
في وادي الدموع، الذي يحتفظ باسمه منذ غادر
ساكنو القصر مرغمين هذه الديار، ولم يسمح لهم
برؤيتها أبداً.

عبرت الغيمة المتعبة الحزينة قمم جبال تلاجية
كأنها الحراب، وأطلت على مدن مضيئة أبنيتها
شاهقة، مغمورة بالضباب، وقدرت أن هذا

يساعدها على السير بحرية أكبر، ملتحفة الغيوم أو الضباب الكثيف، لكن لون الغيمة الأسمر ظل مميزاً، وسمعت من يشير إلى غرابتها أو إلى جمالها النادر، لكنها لم تجد من يدلها على الطريق، فتاهت عربتها في الطرق المتشابكة والمحطات المزدحمة، وصادفت غجراً سعاداً، يقومون بألعابهم البهلوانية داخل خيمة سيرك كبيرة، ويؤدون حركات بارعة، ويلقي بعض المهرجين طرائف مسلية، وكان أطفال العجر يؤدون الحركات نفسها ببراعة ذويهم، وراح بعضهم يطعم حيوانات السيرك أو يبيع الحلوى للمتفرجين.

لم تتعب الغيمة كثيراً، لكن الشوق هدّ قواها، فقررت أن تطفئه بكتابة رسالة إلى أصدقائها، لكنها عدلت عن الفكرة لئلا تثير أشجانهم، وفضلت أن ترسل إليهم بطاقات بريدية جميلة عليها طابع

نادرة، وتذكرت حكاية سمعها أحد الأطفال من جدته، تقول: كانت الغيمة خيمة غبراء حزينة، ساعدتها الريح، وعلمتها التجارب والمحن أن تفك قيودها وتنفض غبارها، وتتحول إلى بساط ريح. لم تؤكد الغيمة الحكاية أو تنفها، واكتفت بابتسامة رأتها أفضل من أي نفي أو تأكيد.

طافت الغيمة الباسمة فوق البحيرات والأنهار والغابات والجبال، والمدن المتربعة على الشواطئ المتعرجة، وتمنت أن يكون أصدقائها الأطفال بصحبتها، كي تشاركهم البهجة، وتتقاسم معهم سعادة المعرفة، وتتسى من خلال حكاياتهم ودعاباتهم متاعب الرحلة وألم الفراق، لكنها ما لبثت أن اكتشفت وسيلة جديدة ساعدتها على حفظ حكايات طريفة، من أجل أن تقصها على أصدقائها عند عودتها، فقد أعجبتها الحكايات الهندية والصينية والفارسية، مثلما أعجبتها الأبنية الشاهقة

والزخارف الجميلة، وحرصت أن تجمع طرائف
عن الأطفال والدمى والحيوانات، وتسجل قائمة
بأسماء المكتبات الكبرى التي حوت أشهر
المخطوطات العربية النادرة.

طافت الغيمة في الأسواق، وضايقها الزحام،
وأوصلها إلى حافة الاختناق، وأعجبتها البضائع
المعروضة والألوان الزاهية والواجهات
والأضواء، والألعاب الخاصة بالأطفال، فقررت
أن تملأ عربتها بالهدايا حينما تعود، وتجاهلها
الناس، وسخر بعضهم منها قائلاً: غيمة في
السوق، من يشتريها؟ ومن يحتاج إليها؟ وآلمتها
سخرياتهم، فمضت إلى سوق الطيور، وعجبت من
عددها الكبير المأسور في الأقفاص، وسمعت
أناشيد حزن ومقطوعات شجية، لا يدرك ما فيها
من الألم إلا من عانى مثله، وما ظنه بعض
السامعين غناء وتغريداً، رأتها الغيمة مراثي

شرقية، وتذكرت حكاية قديمة قيل فيها إنه كان هناك سوق للنخاسة، يباع فيها رجال ونساء وأطفال، ودبت في أوصالها رجفة وخشية من إمكانية عودة تلك الأيام السوداء، وتمنت ألا تعود، لكنها تعلم أن الأمانى لا تقلى بيضاً كما يقول المثل، وأن مواجهة الشر تحتاج إلى قوى خيرة موحدة.

عرض سكان مدن الضباب على الغيمة أن تبقى، فلم يعد هناك مبرر للرحيل، والريح غير مواتية، والإقامة ممكنة عندهم، فعقدوا اجتماعاً واسعاً دعوا إليه الغيمة، وتبارى متحدثون بارعون في امتداح جمالها وسرعتها ودورها في تقديم العون للناس، وللأطفال بخاصة، فأحست الغيمة بخرج شديد لأنها لم تقم إلا بجزء يسير من واجبها، وأشعرها الخطباء بالامتعاض لتلاعبهم بالألفاظ ولمبالغاتهم وصورهم واستعراضاتهم

البلاغية المملة. وتوجت الكلمات باختيار الغيمة
رئيسة فخرية لجمعية الغيوم الشاردة، وأهدي إليها
درع ثقيل، ودب بني يتأرجح ببالونات صفراء.
فكرت الغيمة في كيفية التصرف إزاء هذا الكرم
الزائف والمعاملة المحرجة، ثم وجدت مخرجاً
ملائماً، وشكرت الحاضرين، ثم قالت: أما الهدايا
فإني أقبلها، لأنني أستطيع توزيعها على الأطفال
المتفوقين الكثيرين الذين أصادفهم أينما توجهت،
وأما الدرع فإني أتركه تذكراً في جمعيتكم، وأما
الرئاسة الفخرية فإني أعتذر عن قبولها لأنني لا
أحبذ الإقامة في مكان واحد، وأجد نفسي مشدودة
لاختراق المسافات البعيدة واكتشاف الآفاق، وتقديم
العون لأصدقائي الأطفال.

قصت الغيمة بعض حكاياتها التي جمعتها على
أطفال صفر الوجوه ناحلي الأجسام، فأشرققت
وجوههم بابتسامات عذبة، وأحبوا كثيراً حكاية

"الأفعى والقنفذ"، وحكاية "الفأرة والزرافة"، وحكاية "الزهرة والفراشة والشمس"، وأعجبوا بحكمة القنفذ التي أنجته من خديعة الأفعى، كما سرهم طموح فأرة المختبر التي تريد أن تغير العالم، وتعلموا من براعة الشمس، إذ استطاعت أن تعطي الزهرة والفراشة ما تستحقانه، وأن تفهمهما أن لكل كائن في الطبيعة دوراً يقوم به، وعملاً نافعاً يميزه ويجعله جميلاً، حتى الغيمة أرادت دخول المنافسة مع الزهرة والفراشة، لكنها حين سمعت عبارات الشمس تراجعت خجلة، ومضت تكمل رحلتها.

جمعت الغيمة هداياها وحكاياتها، وأسرجت خيول عربتها، واتجهت صوب الأمّازون، وأدهشتها الغابات الكثيفة والمياه المتدفقة، ورحبت بها الطيور والغزلان، ودعاها أطفال بصدور مكشوفة إلى اللعب، لكنها شكرتهم، واعتذرت عن المشاركة بسبب مشاغلها الكثيرة، ومضت تستطلع

الوجوه والتمائيل، وتستتطق التواريخ المحفورة
على الصخور وشاهدات القبور.

طالت غيبة الغيمة، ونسيت نفسها، وتغير
لونها، وازداد شوقها إلى العودة، لكن شوق
الأطفال والحقول والتلال كان أكثر، وهمست
العصافير قائلة: اشتقنا للغيمة، ولصراحتها الجميلة
وكرمها وطيبتها، وقالت الأشجار والورود وهي
تتكس رأسها حزناً: العطش والحزن ثقلان لكن
فراق الغيمة أثقل منهما، وقال الأطفال بعد انتهاء
لعبتهم المفضلة "استر": طالت غيبة الغيمة، واشتقنا
إلى ظلها ومطرها، وافتقدنا دعاياتها ولوحاتها
المضيئة.

ولم تكن الغيمة أقل من أصدقائها شوقاً وحزناً،
لكنها كانت مصرة على متابعة الرحلة حتى
النهاية، إذ ليس من عادتها التراجع عن خطوة
أعلنتها أمامهم، ولا تحب أن تسأل عن مكان أو

حادثة مهمة، وتجد نفسها عاجزة عن الإجابة.
تمشت الغيمة قرب صخور الشواطئ، ورأت
المراكب الضخمة وحاملات الطائرات، ولمحت
غواصات تغيب في الماء ثم تظهر مناقيرها
الطويلة، وعجبت من حركاتها المخادعة، وداعت
النوارس ومسحت رؤوس الفقمة المستحمت في
الضياء الساطع، ورأت أطفالاً سعداء يتبادلون
الكرة فوق الرمل النظيف، أو يرسمون خطوطاً
وأنفاقاً، وسرها أن يدعو كل منهم زميله كي يريه
ما صنع، وأعجبت بنشاط الأطفال، وحركتهم
الدائبة وحيويتهم الفياضة، وإقبالهم على الحياة
إقبال من يخطط كي يعيش ألف عام، وانتبهت إلى
جلبة أطفال آخرين، يلعبون فوق حطام مركب
قديم، ولم تعجبها صيحات النصر التي أطلقها
فريق القراصنة، على الرغم من عدده الضئيل،
وأسفت لرؤية فريق البحارة يبتعد عن المركب

نحو الماء أو صوب الرمال، يختبئ بعيداً عن
الخطر، وفي اللحظة التي اندفعت فيها الغيمة
لمساندة فريق البحارة، أنهى الأطفال لعبتهم،
واستلقوا ضاحكين فوق الرمال، وحزنت كثيراً لأن
المساعدة تأتي غالباً متأخرة نصف خطوة.

لاحظ أطفال الأمازون أن الغيمة تغير
اتجاهها، وتعديل سرعتها، وتبحر في الفضاء
الأزرق الواسع، وراحوا يتبارون في تفسير ذلك،
فلم يتبينوا بالضبط إن كان تغير اتجاه الريح، أم
منظر المركب المحطم الذي يذكر بالنهايات غير
السعيدة للرحلات الطويلة، أم انشغال الأطفال عنها
باللعب، أسباباً كافية كي ترحل بعيداً، وقبل أن
يلحظ الأطفال ابتعادها، وتتطلق حناجرهم بأغنية
تدعوها إلى الإقامة، أو المكوث قليلاً عند الشاطئ،
كانت الغيمة قد عبرت السلسلة الجبلية المحاذية
لشاطئ البحر، مضت في طريق التعرف على هذا

العالم العجيب وناسه وأشياءه، ومشاهدة الدلافين
تمرح قافزة أو مندفعة نحو قلب الموجة، حتى إذا
استشعرت خطراً يحيق بمخلوق ضعيف، أسرع
إلى نجدته، وقد رأت الغيمة بأمر عينها دلفيناً يدفع
طفلاً مشرفاً على الغرق نحو الشاطئ، فشكرته
على فعلته.

كثرت تساؤلات الفضوليين للغيمة عن وجهة
سيرها وغايتها ونوع عربتها، وهل تحمل مالاً أو
أسفراً، ودعاها بعض الناس إلى المكوث أو
التوقف، فاكتفت بانحناءة خفيفة لهم على الطريقة
الآسيوية، أو بتلويحة شاكرة على الطريقة العربية،
وعند أحد المعابر الجبلية أوقفت الغيمة، ووُجّهت
إليها تهمة تهديد الاستقرار وخرق المعاهدات، ثم
أودعت قبل سماع حجتها أحد السجون الضخمة،
ورأت هناك أناساً جفت عروقهم وضاعت
ملامحهم، وأثقلت الأغلال، وأنهكتها الرطوبة،

فاستعانت بتعويذة سحرية ورثتها عن جدتها
السحابة، وهربت من كوة صغيرة في جدار السجن
دون أن يلاحظها الحراس، وتابعت رحلتها إلى
الجزء الآخر من العالم، كي تبلغ تحيات الأطفال
التي تحملها إلى أقرانهم، ورغباتهم في أن
يزوروهم ويتعرفوا عليهم.

وزعت الغيمة الهدايا التي حملتها في عربتها
على أطفال القارات البعيدة، قائلة: هذه عربون
محبة وصدقة، فشكروها قائلين: سنذكرك دائماً.
وكان على الغيمة إنجاز كثير من الأعمال، لكن
الحنين إلى أصدقائها استبد بها، وإن لم يثن عزمها
على الوصول إلى جبال الجليد، وتجاهلت
تحذيرات الناس والطيور بأنها ستتجمد هناك، ولن
تستطيع العودة، وقيل لها: إن العناد يقود غالباً إلى
عواقب لا تحمد.

رغبة الاكتشاف ومشاعر التحدي، ومتعة

مواجهة الصعاب التي تمنح الحياة طعمًا، قادت الغيمة إلى المنطقة القطبية، وهالها بساط الجليد الممتد كمرآة ضخمة، ولاحظت أطفالاً عيونهم صغيرة، يلبسون الفراء، ويحاولون بناء بيوت صغيرة من الجليد، وودت مساعدتهم، لكن يديها لم تسعفاها على تقديم أي عون، فاكتفت بإلقاء التحية عليهم، وتقديم قفازات صوفية وكتب حكايات ملونة وقطع حلوى.

حاولت الغيمة توجيه عربتها نحو طريق العودة، لكن العربة تعطلت، وصعب عليها المضي في المسار المتجمد، فاستعانت بشوقها لأصدقائها ونشاطها المثابر، لإعادة الحياة إلى روحها المتحدية، وإلى عربتها المتمايلة، وانطلقت مبتعدة عن قارة الثلج والجليد، وأناسها المغلفين بالفراء، وأطفالها الذين يشبهون صغار الباندا.

ازداد قلق أصدقاء الغيمة لغيابها الطويل، فقال

فياض: تأخرت الغيمة واشتقنا لمعايبتها، وقالت
زهراء: ليتها تعود سريعاً فنسمع حكاياتها، وقال
ماهر: أنوي أن أفعل مثلها حين أكبر، وقالت
لمياء: لا تنتظروا عودتها، لأنني أتوقع أنها غضبت
من تجاهلنا لها، وقال سعد: يعجبني طموح الغيمة،
وأقدر أنها تتوي أن تعلمنا التحدي وتحمل
الأخطار، وتعاهد الأطفال على أن ينتظروا ويروا.
وقالت الحقول والورود: إن لم تعد الغيمة
هلكنا، وقالت الأشجار: حجة الغائب معه.
وحافظت التلال على وقفها المتأمل وانتظارها
الذي لا يكل، وعلى صبرها الذي لا ينفد.
وفي اليوم الذي لم يتوقع أحد فيه رؤية الغيمة،
أو عودتها، هبت ريح ناعمة نديّة، وأهدى البرتقال
اليوسفي للشمس لونه، وزادت الطيور من
تحليقاتها ومرحها، وتمايلت الأشجار وأفاق
الورود من نعاسها الطويل، وبدا أن خبراً سعيداً

سيُزف قريباً إلى الجميع. صحيح أن الريح همست للتلال، وأبلغتها أن الغيمة ستصل بعد قليل، ورأت الطيور الريح تهمس، فعرفت أن أمنية جميلة ستتحقق، لكنها لم تتبين حقيقتها، أما الأطفال فقد أصغوا لهمس الريح، بعد أن أوقفوا لعبهم، وتركوا أبصارهم ترعى التلال، وتتابع حركات الطيور وتشكيلاتها البديعة، وتتلمى ألوان الورود المستفيقة، وراحت مخيلاتهم ترسم وجه الغيمة الباسم، وعربتها المندفعة صوب ربوع الوطن.

وبينما كان الجميع في همس ومرح وأحاديث متشعبة، وتوقعات بعيدة عن التصور، أطلّ موكب الغيمة محمولاً على عربات الريح، لم تكن مسرعة لكن الشوق دفع عربتها، وكأنها تحسّست شوق أصدقائها، وتابعت سيرها تخب بمشية المنتصر حتى بلغت وسط القبة الزرقاء، واصطفت خلفها وحولها غيوم كثيرة سمراء وبيضاء، وبدت حائرة

في شرح سر غيابها الطويل لأصدقائها، وتفسير أسباب تأخرها، مثلما حارت في انتقاء حكاية تبدأ بها حديثها، ولم تستطع أن تكتم مشاعرهما التي اختلطت فيها البهجة بالتأثر، وودت أن تمازح الأطفال، لكنّ دموعها طفرت دون أن تستطيع كبحها، واكتفت بنثر هداياها دون أن تسمّي أصحابها، وعرف الجميع أن الهدايا تخص كل فرد منهم، مثلما تخص الأشجار والورود والتلال والحقول والطيور والأطفال المشاكسين، وكانت الهدايا كتب حكايات مزينة بلوحات جميلة، وعلباً فضية ملفوفة بشرائط بيضاء، تحملها عربات مائلة إلى البياض، تجرها جياذ بيض، ويقودها رجال بلحي بيضاء وقلنسوات فضية.

قالت الغيمة والابتسامة تضيء وجهها: العالم جميل واستكشافه أجمل، وقد وصلت إلى حدود الكوكب الأرضي، ورأيت مدناً مضيئة وجبالاً

وأنهاراً وشلالات وسدوداً وأسلاكاً وسجوناً،
ورأيت أطفالاً جياً وطفلات علييات، وطففت في
شوارع مزدحمة بالبضائع، وعبرت قمماً عالية،
وزرت متاحف تضم كنوزاً نادرة، لكنني عدت من
رحلتي بحقيقة تساوي تلك الكنوز التي شاهدها
كلها، وهي أن العالم الفسيح قد استكشف، والبحار
العميقة قد استكشفت، لكن زوايا كثيرة في أعماق
الإنسان ما زالت غامضة تنتظر من يستكشفها!
وقد أعادني الشوق ورغبة البحث إليكم، لأتابع
رحلة الاستكشاف هنا بينكم، وعند ذلك غالبتها
دموعها، وإن لم تفارقها الابتسامة!

لم ينظر أحد في عيني الغيمة الدامعتين، ولم
يلحظوا إلا ابتسامتها الواسعة، لكنهم أدركوا
بسهولة أنها تغيرت في رحلتها الطويلة كثيراً،
وغدت أكثر شحوباً وكرماً، وأفرح الغيمة أنها
وجدت أصدقاء ينتظرونها بشوق، وأدركت أهميتها

إحساس الكائن أن هناك من يفكر فيه ويسأل عنه،
وقطعت عهداً لأصدقائها ألا تغيب طويلاً، وأبلغت
أصدقاءها المحتشدين أنها تعلمت من رحلتها أن
تكون أكثر حرصاً على مواعيدها، وأكثر اهتماماً
بأصدقائها.

فرح الأطفال بوعده الغيمة، وشكروها على
هداياها الجميلة، وأهدوها طفل ثلج بعينين
زجاجيتين، وأنف أحمر وقلنسوة بنية، وجعلوا في
يده غصناً أخضر، وكانت يده الأخرى تلوّح محيية
الغيمة والتلال والرياح، وعربات الغيوم السريعة،
وكأنه يودّ أن يصافحها، أو يتوقع أن تحمله إحداها
بعيداً كي يطوف العالم، ويتعلّم ويستكشف ويعرف
مثل الغيمة الشجاعة.

٢٠٠٠/٤/٧



الطائر الأبلق

شاهد أبو بليق - الطائر الرمادي المزهو
بشرائطه البيضاء - العصافير تقفز سعيدة بين
الأغصان، أو تدور وتتجمع، وتقف على الأسلاك،
وتغرد بأصوات متناغمة عذبة، لكنه أحس أن
غناءها الجماعي ممل وتقليدي، فاقترب منها،
واستعرض أمامها جمال الخطين الأبيضين على
جناحيه الرماديين، والدائرة البيضاء خلف منقاره

اللامع، ثم قال للعصافير:

لدي أغنية جميلة لم تسمعوا مثلها من قبل.
أحبت العصافير أن تستمع إلى أغنية جديدة-
وكل جديد محبب كما هو معروف- فتجمعت حوله
ورجته أن يغني. ويسمعها صوته الجميل، فقال أبو
بليق: الريح شديدة هذا اليوم. وهي تعيق قدرتي
على الإنشاد.

وفي اليوم التالي استيقظت العصافير باكراً،
كي تستمتع بمنظر الشروق الجميل، ولأنها تحب
رؤية الزهور الجديدة المتفتحة، والاعتسال بماء
الجدول. كما أنها متشوقة لسماع الأغنية الجديدة،
لكن العصفور الأبلق اعتذر من جديد عن الإنشاد،
لأن الحر شديد، وهو لا يستطيع الإنشاد في مثل
هذا الطقس الحار، فقالت العصافير: يمكننا أن

ننتظر يوماً آخر.

ظل الأبلق يؤكد أنه يجيد الغناء أفضل من الطيور جميعها، لكنه كان في كل مرة يجد سبباً يعيقه عن الغناء، وإن كان هذا السبب لا يقنع أحداً سواه، وانتظرت العصافير حتى قدوم الشتاء، ورجت الأبلق من جديد أن يسمعها أغنيته الفريدة وتغريده الجميل، كي تدفأ وتتسى الخطر والجوع. لكن الأبلق وجد في المطر والغيوم والبرد والثلج والبرق والرعد والرياح أسباباً إضافية تعيقه عن الإنشاد.

أما العصافير فقد تابعت التغريد والتحليق والدوران، واكتشفت أن الأبلق المزهو بشرائطه البيضاء ورأسه المتوج لا يجيد شيئاً سوى النطنطة، وتحريك ذيله الطويل إلى الأعلى

والأسفل، وأيقنت بعد انتظارها الطويل ومجاورتها
الطويلة للأبلق، أنه لا يجوز انتظار الغناء الجميل
أو الحكايات الممتعة من الثرثارين والمغرورين.
ومضت ترسم في الفضاء لوحاتها الراقصة،
وتتعم بأصداء أغنياتها الجماعية والفردية البديعة،
وتركت للأبلق ذي الشرائط البراقة فرصة البحث
عن طيور أخرى تصدق مزاعمه.



السحفاة والضب

وقف الضب فوق سياج الكرم الحجري، وهز رأسه كعادته، وتظاهر بالبهجة، وقال: أنا غني جداً، أغنى أغنياء هذه الناحية.

سمعتة السحفاة الباحثة عن طعامها، فتوقفت وسألته: إن كنت غنياً فأين ثروتك، وكيف جمعتها؟.. فقال الضب متابعاً هز رأسه: في مكان ما، وقد جمعتها بالكد والحيلة، وهز ضب آخر

على السياج رأسه، وقال: صحيح وثروته في مكان ما...

قالت السلحفاة: إن كانت ثروتك كبيرة كما تدعي، فلماذا لا توزع قسماً منها على المحتاجين. قال الضب المتباهي، "في وقت لاحق"، وهز زميله الآخر رأسه وكرر العبارة نفسها..

ابتسمت السلحفاة ساخرة من هذين الضبين الأحمقين، وأرادت أن تتابع سيرها، لكنها سألت الضب الأول قائلة: لم أرك تقوم بأي عمل، فكيف استطعت أن تجمع ثروة كبيرة؟.. فرد الضب محتجاً: أنا أعمل كثيراً، أليس هز الرأس عملاً؟.. والوقوف في الشمس والقفز فوق سياج الكروم أليس عملاً؟..

قالت السلحفاة: لو كان هز الرأس والقفز فوق حيطان الكروم يكسب ثروة لما بقي محتاج واحد في هذا الكون، ثم أضافت: أنا جارتك منذ زمن،

ولم يظهر لي أنك صاحب ثروة..

قال الضب: انظري إلى تلك الجبال العالية،
أترينها؟ إنها لي، وسأبيعها وأغدو غنياً جداً، وإن
كنت تملكين منزلاً كبيراً أيتها السلحفاة فسأعينك
على بيعه، وتصبحين غنية مثلي...

قالت السلحفاة: ليس الغني من يبيع أرضه
وبيته، ولن يكون غنياً في أي يوم. قال الضب: لا
تضيعي هذه الفرصة فلن تتكرر كثيراً...

قالت السلحفاة: من أين أنتك هذه البراعة في
التجارة؟.. فمنذ عرفتك لم أرك إلا مكتفياً بقشور
الثمار اليابسة...

غضب الضب وقال: أنت لا تقدرين براعتي يا
سلحفاة، وأضاف: ربما كانت إقامتك الطويلة في
جرك، أو داخل درعك، لا تسعفك على تمييز ما
يجري حولك...

رأت السلحفاة أخيراً أنها تضيع وقتها، وأن

تبجح الضب وأقواله المؤيدة من ضب مثله لن
تنتهي، فتابعت رحلتها للبحث عن طعامها، لكن
الضب ناداها قائلاً: فكري جيداً بما قاتته لك،
وأجيبني بسرعة.

قالت السلحفاة: امض أنت وأحلامك، وصفقاتك
وفرصك، أما أنا فسأمضي إلى عملي، لأنه الحقيقة
الوحيدة التي أعرفها..

قال الضب: ستظلين جائعة وحمقاء، لا يكثرث
بك أحد...

فأجابت السلحفاة ساخرة: أخشى أن يؤدي بك
هز رأسك وادعاؤك إلى انهيار الجدار تحتك،
وإني أفضل أن أبقى داخل ججري، على أن أسمع
خطاباتك ومشروعاتك الفارغة..

استمر الضب في هز رأسه، وحاول أن يقفز
فوق السياج الحجري، فسقط حجر منه، واختل
توازنه فوق على الأرض، وشعر بدوار شديد،

لكنه تماسك، وتذكر عبارات السلحفاة الصائبة،
فنادى بصوت مستجد: أين أنت أيتها السلحفاة..
توقفي، ساعديني، يا جارتِي الحكيمة، أشيري علي
وأوجدي لي عملاً نافعا...

لكن الضب الآخر هز رأسه، وقال: ما أغرب
الدنيا! غني، ويطلب المساعدة والمشورة من
سلحفاة ضعيفة، أعتقد أنه أحمق وليس غنياً،
ويحتمل أن تكون عادات هز الرأس والتبجح
والقفز فوق حيطان الكروم قد أخذها عن ضب
كسول آخر..

سمعت السلحفاة عبارات الضبين، وأرادت أن
تهز رأسها، لكنها لم تفعل واكتفت بالابتسام.
وتساءلت ماذا يحل بالكون إذا استمر عدد الحمقى
في التزايد؟.. ثم مضت إلى عملها دون أن
تأنتفت...

آذار ٢٠٠٠



دهاء النعامه

تعاهدت النعامه والحصار الوحشي على أن
يكونا صديقين متعاضدين، يدل كل منهما الآخر
على الطرق المأمونه والمراع المعشبه، ويتبادلان
الحراسه ليتقيا هجمات ملك الغابه المفاجئه
ونظراته الناريه وعدوانيته وافتراسه..

كان أبو لبد دائم الزئير، في حالات جوعه
وشبعه، أو غضبه ورضاه، مثل بعض الناس الذين

تستمر شكواهم في أحوال الغنى والبؤس، أو
الصحة والمرض، أو القوة والعجز...

وقد حرصت النعامة على حراسة الحمار
الوحشي، مثلما حرص الحمار الوحشي على أن
يظل متيقظاً لحماية النعامة حتى اتسعت عيناه،
وبات قادراً على رؤية أبي لبد من مسافة بعيدة،
وكان حرصهما مماثلاً لحرص ملك الغابة على
تذوق لحم أحدهما أو كليهما بعد أن مل لحم
الغزلان والأرانب والثعالب والثيران.

أخفق ملك الغابة في اقتناص أحد الصديقين،
لسرعتهما في توقع قدومه، وخفنتهما في الجري،
وكانت ملاحقاته عديمة الجدوى، تنتهي بنوبات من
اللهاث والزئير، فيضطر إلى إطفاء جوعه بأرنب
صغير، وإطفاء عطشه، بشرب لترات كثيرة من
ماء البركة، ويستذكر قصصاً قديمة تحكي عن
جين الحمار الوحشي وخوف النعامة، التي لا

تكتفي برسم خطوط في الرمال، بل تدفن فيها
رأسها.

تساءل أبو لبد يوماً: كيف أكون ملك الغابة،
ولا أستطيع اقتناص نعامة أو حمار وحشي؟ هذا
أمر غير مفهوم، وغير منطقي، وهو يضر
بهيبتتي، ويذهب بسمعتي، ويجعل سائر حيوانات
الغابة تسخر مني، وتتناسى حضوري، فلأعمد إلى
حيلة تمكنني من أسرع حيوانين في الغابة، وعندها
تتيقن سائر الحيوانات من سطوتي، وتعرف أنه
لا نجاة لأي حيوان من برائتي...

تظاهر أبو لبد بالمرض، وأذاع إعلاناً
للحيوانات، يدعو كلاً منها إلى عيادة ملك الغابة.
واختيار حكاية تتسيه أوجاعه، فإن أعجبه أطلقه
وإن لم تعجبه افترسه، وهدد الإعلان كل حيوان
يمنتع عن تنفيذ طلب ملك الغابة بالويل والثبور،
وأن الغابة على سعتها لن تحميه من عقاب الملك.

مضت الحيوانات زرافات ووحيداناً إلى عيادة ملك الغابة، وكان بعضها يعود ليخبر الآخرين عن طيبة أبي لبد، وحبه لسماع القصص الطريفة، وكان معظمها لا يرجع من زيارته، فيقدر زملاؤه أنه لم يحسن اختيار حكاية مشوقة وأنه وقع بسبب تقصيره. وظل الحمار الوحشي والنعامة بعيدين عن الوقوع في مصيدة أبي لبد، وهو ينتظر قدوم أحدهما بصبر فارغ..

وإذا كانت الحيلة لا تداوى إلا بالدهاء، فقد قرر الصديقان المتعاضدان أن يسخرا من ملك الغابة المتمارض، فنسجت النعامة الحكاية، وطلبت من الحمار الوحشي أن يقصها على أبي لبد، ولأنها لن تعجبه كما هو متوقع فليقل أن النعامة روتها له، وهي مستعدة لتحمل مسؤوليتها والمجيء إلى عرين الملك..

تردد الحمار الوحشي قليلاً، فقد تسحقه البرائن

قبل أن يقص حكايته أو بعدها، لكنه تشجع أمام نظرة النعام الواثقة، ودخل على ملك الغابة فحياه، ثم قال:

– "كانت هناك غابة واسعة، لها ملك عادل اسمه أبو لبد، تحبه الحيوانات وتتمتع بحمايته، وذات صباح أبلغ أحدها الملك أنه سمع زميله يردد شائعة تقول بوجود ملك آخر للغابة أكثر عدلاً في شطرها الشمالي، وإن الحيوانات جميعها ستتجه إلى هناك وتتركه وحيداً، فغضب ملك الغابة وزأر بشدة ومضى إلى الشطر الآخر من الغابة فلم يجد أحداً، لكنه امتلاً غيظاً، ومن يومها وهو يفترس كل حيوان يصادفه"...

تظاهر أبو لبد بالتفكير العميق، ثم أعلن أن الحكاية تقليدية لا نكهة فيها ولا تجديد، وعقوبة صاحبها معروفة، وتهياً للانقضاض. فأسرع الحمار الوحشي إلى القول: يا مولاي لست ناسج

هذه الحكاية، لكنها النعامة صديقتي التي تملأ أذني دائماً بهذه الحكايات السخيفة، وقد أبلغتني أنها مستعدة للمثول أمام الملك، إذا لم تعجبه حكايتها... فرح ملك الغابة في سره، إذ يستطيع أن يظفر بالمتمردين معاً، وتظاهر بالامتعاض لكنه سمح بأن تمثل النعامة أمامه بصحبة الحمار الوحشي دون تأخير..

مضى الحمار الوحشي فرحاً بنجاته، وأبلغ النعامة ففرحت، وتابعت نوبة الحراسة بيقظة أكثر، وانتظر أبو لبد عودتهما طويلاً، ثم استبد به الغضب، واندفع بكل قوته يصدح الحجارة وجذوع الأشجار، ويلعن القمص وناسجيهما ورواتها وينذرهم بعقاب شديد، وما زال إلى يومنا يتابع الزئير المخيف المدوي، ويرسل نظرات زائغة إلى المساحات المعشبة في الغابة بحثاً عن ريشة نعام أو جلد مخطط....

۳/۰۰۰۰۰۰



السلحفاة والنمر

وقفت السلحفاة ذات الدرع العسلي بجانب الطريق الأسفلتي الضيق، وانتظرت أن يتوقف سيل السيارات المسرعة، حتى تتمكن من عبور الطريق لزيارة صديققتها الأرنب في الجانب الآخر... وتستشيرها في بعض شؤونها، وكانت السيارات تنفث دخاناً كريه الرائحة، أو تطلق أصوات أبواقها الحادة، فاضطرت السلحفاة إلى

احتمال ذلك كله، لكن سيل السيارات لم ينقطع،
وتساءلت السلحفاة باستغراب: "من أين تأتي هذه
السيارات كلها كأنها النهر؟..."

تقدمت السلحفاة بضع خطوات على الأسفلت
فجاءت سيارة مسرعة، وقذفتها إلى جانب
الطريق، ثم انتظرت قليلاً، وأعدت المحاولة ثانية.
وعند بلوغها وسط الطريق، كان بغل مسرع قادماً
من الجهة المقابلة، فقذفها بحافره، وأعادها إلى
النقطة التي انطلقت منها.

تساءلت السلحفاة بائسة: ماذا أفعل الآن؟ هل
أعود إلى بيتي أم أكرر المحاولة مرة أخرى؟...
وظلت أصوات المحركات والأبواق تخيفها وتبقيها
في مكانها...

وهمت بتكرار المحاولة، وعبور الطريق حين
تقدم نمر عسلي العينين، فلاحظ ارتباكها، وقال
لها: مالك أيتها الجارة السلحفاة؟ أراك مرتبكة

حزينة؟ قالت السلحفاة: أريد عبور الطريق، لكن السيارات والبغال لا تمكنني من ذلك، فقال النمر: تقدمي إلى جانبي كي نقطع الطريق معاً..

تقدمت السلحفاة إلى جانب النمر مطمئنة إلى تشجيعه وحمايته، لكن سيارة مسرعة تقدمت من جهة الطريق اليمنى، فاستدار النمر ووقف في منتصف الطريق، ونظر بعينين ناريتين إلى جهة السيارة، فاضطر سائقها إلى التمهّل والتوقف والانتظار حتى يعبر النمر والسلحفاة الطريق، وقبل أن يتابعا سيرهما، قدمت سيارة من الجهة اليسرى، فخافت السلحفاة وقالت: ما العمل الآن أيها النمر؟ قال النمر: لا تخشي شيئاً، إنها تقف عندما تراني...

توقفت السيارة الثانية عند رؤيتها النمر المرقط يعبر ببطء ويحمي السلحفاة الخائفة، ولم تتقدم السيارتان حتى وصل النمر والسلحفاة إلى الجهة

الأخرى من الطريق.

شكرت السلحفاة النمر على صنيعة، ووعدت أن ترد له جميله في أقرب فرصه، ورد النمر قائلاً: لم أقم بأكثر من واجبي، وأنا مستعد لتقديم العون لك عند الحاجة، وما عليك إلا أن تنتظري مروري حين تريدين عبور الطريق، أو حاولي حفر نفق تحت الأسفلت..

قالت السلحفاة: أشكرك ثانية أيها النمر الطيب، واقدر أنه ليس من الحكمة الاتكال على الآخرين في كل شأن، وأضافت: فكرة النفق جيدة... سأطمئن على جارتي الأرنب أولاً، وأعرض عليها الفكرة، وبعدها أبدأ بحفر النفق.

زارت السلحفاة الأرنب، ففرحت بها كثيراً، وشعرت أنها ليست وحيدة في هذا البر الفسيح، وعرضت السلحفاة ما جرى لها عند عبور الطريق، والفكرة التي اقترحتها النمر، فقالت

الأرنب: النفق فكرة صائبة، وأنا مستعدة لتقديم
العون في تنفيذه.

بدأت السلحفاة والأرنب في اليوم التالي حفر
النفق بهمة وتصميم ورأهما النمر المرقط، فابتسم
لأن فكرته وجدت من يصغي إليها، وعبر الطريق
بقفتين خاطفتين دون أن يأبه بالسيارات
المسرعة!..

آب / ٢٠٠٠.



البغاء الرمادي الساخر

كان أحمد صديقاً للطيور، محباً لها إلى درجة جعلته قادراً على تمييز أصواتها وأنواعها دون رؤيتها أحياناً، وقد اشترى له أبوه مجموعة نادرة منها مكافأة له على تفوقه الدائم، وهكذا غدا لديه بلبل وحسون وكناري وعاشق ومعشوق...

نجح أحمد إلى الصف الأول الإعدادي بتفوق كعادته، وأراد أبوه أن يقدم له هدية، وترك له

حرية اختيارها، ومضيا معاً إلى محل بيع الطيور،
وشاهداً ألقاصاً كثيرة منها طيور نادرة وسمعا
تغريدها الجميل، لكن أحمد مال إلى قفص فيه
ببغاوان: أحدهما أخضر سمين، يطلق صيحات
مهللة، ويرحب مثل صاحب المحل بكل زبون،
ويقلد هذا ويمزح ذاك، ثم يلتفت كي يتأكد من
جمال حركاته وتقليده، وصاحب المحل يثني على
موهبتة، ويهديه مزيداً من بذور عباد الشمس...

والببغاء الثاني رمادي أقرب إلى السواد،
بأرجل منقطة ونظرة متحفزة، وصمت لم
يكتشف صاحب المحل سببه..

راقب الصبي الببغاء الرمادي الصغير
الصامت داخل القفص، وتجاهل شروح البائع،
ونظر بعينين حائيتين إلى الببغاء السجين، الذي
قابلهما ببعض الاهتمام..

كان الأب يميل إلى شراء الببغاء الأخضر،

لكنه لاحظ اهتمام أحمد بالبيغاء الرمادي، فسأل
البائع عن الحركات التي يجيدها، دون أي تصور
لاقتناء طائر نحيف مكتئب مثله..

قال البائع: إنه ببغاء محير، لا ينفذ أي أمر
يطلب منه، وهو دائم السخرية من بعض المارة.
وقادر على اكتشاف اللصوص بمجرد رؤيتهم عن
كئيب، وحين يقترب واحد منهم أو أكثر نحوه
يصيح: أمسكوا اللص، لاص، لسان، ثلاثة
...مغارة علي بابا.. وقد حاول بعض اللصوص
سرقته، لكنه اكتشفهم وأنقذ المحل، ولم يعد
للصوص يمرون من هنا، وقد خسرنا بسببه عدداً
من الزبائن...

وأضاف البائع: إنه يسخر حين يرى مشهداً
عجيباً، أو مفارقة محزنة، وقد يشتم أحياناً،
ويضعنا في مواقف حرجة..

تجاهل الأب شروح البائع منذ نطق جملته

الأولى عن الببغاء الرمادي الساخر، وانصرف
اهتمامه إلى تخيل ثمن الببغاء الأخضر السمين،
وجمال وقفته عند الشرفة، أو في غرفة الجلوس،
لكن أحمد، قال بحزم: يعجبني هذا الببغاء
الساخر، ولن أشتري سواه..

اضطر الأب إلى شراء الببغاء وقفصه، وألف
الببغاء الرمادي أهل أحمد، وبات يخرج من
القفص، ويطير إلى الحديقة، ويراقب المارة، وينقل
مفارقاتهم المضحكة إلى صديقه، الذي يرويها
بدوره لأفراد الأسرة، فيغرقون في الضحك..

كان الطائر الرمادي يصيح أحياناً، "قذر" لمن
يرمي القمامة في الطريق، و"غبي" لمن يلعب
وسط الشارع، و"متطاول" لمن يقطف ورود
الحديقة و"بليد" لمن لا يقدم المساعدة للآخرين،
و"مهمل" لمن يتأخر عن المدرسة و"منافق"، لمن
يكثر المديح، وكان يردد مفردات كثيرة لا يعرف

أحد كيف حفظها مثل: حديث فارغ، مراوغة،
خنوع، غش، فساد، جبن....

وكان الصبي يسمع الكلمات ويبتسم، ويشجع
البيغاء ويتعلم منه..

حاصرت النظرات البيغاء الرمادي، وأطلقت
التحذيرات نحو الصبي وأهله قائلة: أسكتوا هذا
الثرثار المخرف، لكن البيغاء ظل يتمتع بتشجيع
أحمد وحمأيته.

وصباح جمعة شتائي، تأخر الصبي في النوم،
و حين استيقظ لم يسمع صوت البيغاء ودُعاباته،
ولاحظ حزناً في العيون، ووجه نظرة متسائلة إلى
أبيه، الذي قال: لقد رحل البيغاء...

وقبل أن يطلق أحمد احتجاجه الحزين، سارع
الأب إلى القول: لا تحزن، فلا مانع عندي من
شراء البيغاء الأخضر، فهو يحسن التقليد، ويبهج،
ولا يؤذي مشاعر أحد.

قال الصبي: تريدني ببساطة أن أنسى صديقي،
الذي ملأ البيت حبوراً، وكشف الحقائق المخبأة
خلف الأفنعة، لقد كبرت، وتعلمت كثيراً، من
صراحة صديقي الببغاء الرمادي الساخر المتمرد،
ولم أعد بعد اليوم بحاجة إلى أي ببغاء!..

آب / ٢٠٠٠.



يوميات دوري

وقف العصفور الدوري فوق غصن شجرة الكينا، والتفت يمينا ويسارا، ثم قال بحبور: يوم مشمس جميل، يستحق أن أنشد فيه أغنيتي الجديدة، وبدأ ينشد، ومد تغريده كي تسمعه الأشجار والأزهار، والتلال والجدول، وطيور السنونو والسلاحف، والجدة المستيقظة، والأطفال المرحون.

عجب الدوري لأن أحداً لم ينتبه إلى أغنيته الجديدة، فانتقل إلى شريط الهاتف، وسمع رنيناً خافتاً، وظن أن صدى أغنيته ما زال يتردد، ونظر حوله، فلم يأبه به أحد، وأعاد التغريد من جديد، ومدّه إلى درجة قدر أنها ستثير إعجاب الرعاة، وتحرك الصخر، لكن شيئاً لم يتحرك حوله.

قفز العصفور الدوري إلى حافة سطح المنزل، وأعاد أغروده، لكن السكون ظل ملازماً له، غير أن ربة المنزل توقعت أن يكون جائعاً، فنشرت بضع حبات من البرغل على السطح...

غضب الدوري وقال: أنا لست جائعاً، أريد أن يستمع أحد إلى أغنيتي الجديدة، لأنني تعبت في التدريب عليها، لكن ربة المنزل كانت مشغولة جداً. طار الدوري إلى سور المدرسة المرتفع، وتأمل الباحة الفارغة والنوافذ العريضة، لكنه لم يلحظ طفلاً واحداً مستعداً لأن يستمع إلى أغنيته.

ومر شيخ طاعن في السن، فاقترب منه
الدوري حتى غدا قرب كتفه، وانطلق يغني، لكن
الشيخ كان أصم، فلم ينتبه للأغنية الجديدة،
وصاحبها الرقيق.

وكاد اليأس يتسلل إلى العصفور، لكن
عصفورة مسرعة مرت قرب المكان وحيث
العصفور، فطار خلفها، وقال: أنت خير من يقدر
الإبداع ويحتفل بأغنياتي الجديدة، فهل تتكرمين
بالاستماع إليها؟..

وقبل أن تجيب العصفورة، انطلق الدوري
يغني، وامتلأ الفضاء بتغريد حلو، ختمته
العصفورة بثنائها وابتسامتها.

آب / ٢٠٠٠.



الخروف الأعرج

لم يستطع الخروف الأعرج أن يقفز في الهواء مثل الخراف، ولم يقدر أن يحصل على أكثر من المركز الأخير، في السباق الأول إلى "السمانة" المعشبة العليا، وعلى المركز نفسه في السباق الثاني عند الرواح عَصراً، واستقبال النعجات الثاغيات العجلات لمامسة الخراف. وإهدائهن الضروع المألنة بالحليب.

كان كل خروف يسرع إلى أول ضرع، ويتذوق حليبه، فتدفعه النعجة عنه بحزم، وتطلب منه البحث عن أمه، لكنه كان يحظى بقطرات ذات طعوم مختلفة، من ضروع عديدة، قبل أن يصل إلى ضرع أمه..

أما الخروف الأعرج فقد كان يتقدم ببطء، ويتعثر ويميز ثغاء أمه المحتج وحركتها المضطربة، ونظراتها الزائغة، لكنه يظل عاجزاً عن التقدم بالسرعة نفسها، فتضطر النعجة إلى تحمل قفزات الخراف، ودفع النعجات المنشغلات، وثقل الضروع التي يكاد حليبه يشخب، وتحمل ألم ضياع حصة الخروف الأعرج من قبل الخراف المسرعة الطائشة.

ولم تكن النعجة تهتدي إلى خروفها الأعرج إلا بعد انتهاء النعجات من الإرضاع. وانصرافها إلى تناول العلف والماء، وعند ذلك تسرع إليه، وتمنحه

ضرعها، ناسية الجوع والعطش، تاركة له حرية
البحث عن قطرات الحليب المتبقية...

كانت الخراف تعاود القفز، ساخرة من عرج
الخروف وهزاله، قائلة: إنه يستعد للفوز بسباق
الغد، لكن النعجة المغمومة ردت قائلة: ليس مهماً
أن تسرعوا وتفوزوا وتسخروا، ولكن المهم أن
تعرفوا وتفهموا.

حزن الخروف الأعرج بسبب سخريات
زملائه، لكنه صمم على تعلم أشياء كثيرة، تعوضه
عن السرعة في الجري، فعرف مواعيد شروق
الشمس، وأتقن اختيار الطرق الآمنة، وأحسن
تحديد لحظات الخطر ومواضعه، ومراتع العشب
اللذيذ، وبرع في أداء الألعاب التي تحتاج إلى قوة

التحمل أكثر من احتياجها إلى السرعة والقفز،
فبات دليلاً لزملائه، يسألونه عن كل مشكلة فيجد
لها حلاً مناسباً، دون أن يسخر أو يتذمر، مما جعل
الخراف تقلع عن سخرياتها، وتتصرف إلى معرفة
الأشياء والأحداث، والأخطار والأماكن، وتتفهم ما
يدور حولها مثلما فعل الخروف الأعرج.

٣ / ٢٠٠٠.



العربة المركونة

شعرت عربة القطار المركونة على السكة
الجانبية بالملل، فلا أحد يهتم بها، والأطفال ابتعدوا
منذ زمن عن نوافذها المحطمة، وعجلاتها التي
هاجمها الصدا، وكادت برودة الوحدة تسحقها، ولم
يعد صفير القطارات المسافرة أو العائدة يثير
فضولها، ولم تعد تحظى من الناس كباراً وصغاراً
بأي التفاتة أو اهتمام، وعند هذه المحطة من الآلام

لم يعد الصمت ممكناً، ولابد من التفكير في خطة مناسبة تخرجها من عزلتها..

لم تتم العربية ليلتها، فالخطط المحكمة تُعدّ في الليالي، حيث الجلبة بعيدة، والفضوليون نائمون، والقطارات مستريحة تنهياً للانطلاق أو للعودة، والأطفال يحلمون برحلات يطوفون بها الكون الفسيح.

تحاملت العربية المركونة على آلامها، ودفعت عجلاتها الصدئة على الخطين المنحنيين، وعبرت الوصلة بعد أن عانت صعوبة في فتحها، ثم علقت حلقة الربط بالعربة الأخيرة في القطار، وتمنت ألا يلحظ أحد حركاتها، فيعيدها إلى سكة التقاعد التي لا تقل إيلاً عن مستودع الخردة..

صفر القطار قبل الفجر، وصعد الركاب، وشعرت العربية بالرجفة، لا من البرد، ولكن من خوف انكشاف أمرها، ولم يلحظها أحد، وانطلق

القطار فأحست براحة مؤقتة، لكن الركاب راحوا يتهامسون ويشيرون إليها، ويسخرون من اهتزازها، ثم يدققون النظر في عجالاتها ونوافذها، بينما أشار الأطفال إليها بإعجاب. لأنها تصمد رغم عاديات الزمن وهاريات الإهمال، وتبدل الفصول، وأنين الخطوط والوصلات، وتجراً أحد الأطفال وعبر إليها، واكتشف أنها تهتز أكثر من العربات الأمامية، لكن اهتزازها الراقص أعجبه، فتمايل مع حركتها، وأعجب أطفال آخرون بتمايله فتبعوه، عندها شعرت العربية بالفرح، إذ تمكنت أخيراً من استعادة ثقة الأطفال وهي التي ظلت تتذكر لمسات أصابعهم الناعمة على مقابض أبوابها، وحافات نوافذها الكبيرة، وكلما زاد اهتزاز العربية، زادت حركة الأطفال، ثم تكاتفوا ورددوا أغنية حفظوها من أناشيد المدرسة..

قال صادق: لماذا تركت العربية دون دهان؟

وأضاف مصطفى: أتوقع أن تكون مخصصة لنقل الأمتعة أو الحبوب...

وعقب رائد: مظهرها يدل أنها كانت منسية، وأعيدت إلى الخدمة ثانية. أما فياض فقال: للجديد طرافته، لكن القطع القديمة لها نكهتها المحببة أيضاً.

أصغت العربية إلى حديث الأطفال الجدّي، وإلى سخريات الركاب، التي جعلت منها: حاوية قمامة، وقن دجاج متحرك، وفزاعة ووكراً للثعالب، ومستودع أعلاف، وعبارة إلى الجحيم، ومرصد حراسة مهجوراً، وقارباً منسياً على الشاطئ، ولم تزعجها هذه الصور الحافلة بالكمد والتحجر، فتابعت نغمة الأنشودة، وشاركت الأطفال فرحهم، واندمجت معهم رغم وضوح صوتها الخشن المتلجلج، ورعشتها المتأثرة. وعبرت العربية والأطفال مع القطار فوق الجسر

المعلق على النهر، ثم دخلت نفقاً طويلاً دون أن
تخشى العتمة. وبعد ذلك تسالقت سفحاً تزنره
الخضرة فتلاحقت أنفاسها، لكنها نسيت التعب
والخوف.

رأت العربية في المحطات عربات كثيرة
مركونة يعلوها الصداً ويغلفها الصمت، تنام
بخمول، محاطة بكومة القمامة والتراب، فكانت
تتادي عليهن قائلة: استيقظن والتحقن بهذه الرحلة،
فالقطارات السريعة مثل الحياة لا تمنح الفرصة
لعربة خاملة أو راكب متأخر كي يلتحق بها.

فتحت العربية المركونة أجفانها ثم أطبقته دون
أن تعي ما قالتها العربية المنادية، ثم عادت إلى
نومها الثقيل، ولياليها الرطبة، وأحلامها البائسة،
ولم يلتحق بالعربة سوى اثنتين من زميلاتها في
المحطات الإحدى عشرة التي توقف فيها القطار،
ففرحت بهما لأنها أخرجتهما إلى عالم الحركة

والغناء والانطلاق..

رأت العربفة الأشجار تتمايل بالتحفة،
والفلاحن يعملون بدأب، فدفعون رؤوسهم قلفلاً
لفمسحوا عرقهم، وفحاولون عدّ العربات، ففنتبهون
إلى الزفافة، وتثفر فساؤلهم العربات الثلاث
الأخرة، لكنهم فعودون إلى عملهم ثانية...

وكانت العساففر فقرب، وكانها فحاول أن
فحط على رؤوس الأطفال، وففشارك معهم فف
فرحة الرحلة وبهجة الإنشاد. وكانف فرافق القطار
وكانها فحرسه أو فودع ركابه، ثم فتلو فحلقة فف
الفضاء، وقلد الأطفال العساففر فف فركاتها،
ورفرفت أفدبهم كالأفجنة، ففبما مضى القطار
على السكة الممفدة، وأطلق صففراً فوفلاً،
استعداداً للاستراحة فف المحلة الأخيرة..

ظل ناظر المحلة زمناً فوفلاً فقص الفكاية،
وفقول: لم ففلقَ أوامر بإضافة عربات مركونة إلى

قطاراتنا، ولم تكن لدينا أوامر بإعادة مثل هذه العربات المثابرة إلى مواضعها، ويستغرب الابتسامات والملاحظات الساخرة التي تواجهه حين يعيد الحكاية شفهيًا أو خطياً، على زملائه أو رؤسائه، وتتسع الابتسامات حين يقول: ما زلت إلى الآن أنتظر الأوامر!

أما العربة فقد سعدت بالرحلة، وبصحبة الأطفال التي تجعل الحياة عامرة بالحركة والبهجة، وتعيد إليها حقيقتها التي تغيب كثيراً ولا تعود إلا مع الأطفال الجسورين اللطفاء، ومع اهتزازات العربات الطموحة الصامدة...

٢٠٠٠/٤



المحتوى

الإهداء	٨
مقدمة	١٠
الغيمة المستكشفة	١٤
الطائر الأبلق	٤٥
السلحفاة والضب	٤٩
دهاء النعامة	٥٦
السلحفاة والنمر	٦٣
البيغاء الرمادي الساخر	٦٩
يوميات دوري	٧٥
الخروف الأعرج	٧٩
العربة المركونة	٨٣

४०४

محطات في حياة خليل البيطار

* ولد في قرية الصورة الكبيرة إحدى قرى منطقة شهباء بمحافظة السويداء.

* حصل على إجازة من قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، ودبلوم التأهيل التربوي. ودبلوم الدراسات العليا في علم النفس من الجامعة نفسها.

* مارس التعليم بمراحله الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية. عمل في الصحافة، ونشر قصصاً وقصائد ومتابعات نقدية في الصحف والدوريات المحلية والعربية. وهو عضو مشارك في اتحاد الصحفيين.

* صدرت له مجموعة قصصية للكبار بعنوان "رؤى العاشق" عام ٢٠٠٠.

* وافقت وزارة الثقافة على إصدار مجموعته القصصية للأطفال بعنوان "شجرة الكينا".

* رأى أن الكتابة للكبار أشبه بالسير على حافة جرف، أما الكتابة للأطفال فهي تشبه اكتشاف عوالم ساحرة.



رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

- الغيمة المستكشفة: قصص للأطفال / خليل البيطار -
دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١ -
٨٦ ص؛ ١٧ سم.

١- ٨١٣,٠١ ط ب ي ط غ
٢- العنوان
٣- البيطار

ع- ٢٠٠١/١١/٢٣٨٦
مكتبة الأسد

□□

